

آل فرعون، وبِفَرّاق البحرهم، وبمِيقَات موسى لاستلام التوراة، ثم بعفو اٍ عنهم بعد أن نكثوا عهد موسى واتخذوا العجل من بعد، ثم بتظليل الغمام عليهم وإكرامهم بإنزال المن والسلوى، وبتلبية موسى في استسقاءه ربّهم لهم، وبتمكينهم مما طلبوا من أنواع الأطعمة، إلى آخر تلك النعم التي قصتها السورة علينا من هذا الجانب، ثم تذكرهم بلون آخر يرجع إلى ما ارتكبه أسلافهم من أنواع العناد والمكابرة، وألوان الشبّه التي كانوا يضعونها عقبات للحيلولة بين الناس وبين الإيمان بمحمد (صلى اٍ عليه وسلم) اٍ عليه وسلم، فُتذَكّرهم باعتدائه في يوم السبت، وعقاب اٍ لهم على هذا الاعتداء، وموقفهم من موسى في ذبح البقرة التي أمروا بذبحها كشفاً لجريمة القتل التي وقعت فيما بينهم وجهل فاعلها، ثم بتحريفهم كلام اٍ من بعد ما عقلوه، واشترائهم بآيات اٍ ثمناً قليلاً، وبذعمهم إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وباعتدائهم على الأنبياء بالتقتيل والتكذيب بعد أن أخذ اٍ عليهم العهود والمواثيق، وبإعراضهم عن الإيمان بمحمد بعد أن كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وبيان خطئهم في زعمهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وهكذا إلى أن بينت موقفهم من إبراهيم وأنهم بعيدون عن الحق الذي دعا إليه إبراهيم، ووصّى به بنيه، كما وصى به يعقوب من بعد: "يا بَنِي إِنْ اٍ اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وإنتم مسلمون".

ثم جاءت هذه الآية الكريمة إثر بيان الحق في موقفهم من الرسول في مسألة، القبلة، واهتمامهم بشأن التوجه إلى ناحية دون ناحية، واعتبارهم أن ذلك عنوان الحق، وآية التدين، وأساس الإيمان والإخلاص في عبادة اٍ، وذلك حيث تقول السورة: "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل اٍ المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".

ويتلخص شأن هذه المسألة في أن المسلمين كانوا يتجهون أولاً في صلاتهم إلى بيت المقدس، ثم أمرهم اٍ بالتوجه إلى الكعبة لِحِكْمَ وشئون يوحى بها قوله تعالى: "و ما جعنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسوب ممن ينقلب على